IUGJEPS
Vol 29, No 3, 2021, pp 382 -397

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الانسانية

تاريخ الإرسال (14-10-2020)، تاريخ قبول النشر (21-11-2020)

الشريف الحسين بن علي في رحلة الزركلي " ما رأيت وما سمعت" إلى مكة المكرمة في عام 1920م

اسم الباحث الأول: أ. أنس نايف العموش

اسم الباحث الثاني : أ.د. إبراهيم فاعور الشرعة

1 اسم الجامعة والبلد: دكتوراه التاريخ الحديث/ وزارة التربية والتعليم الأردنية

2 اسم الجامعة والبلد: كلية الآداب/ قسم التاريخ/ الجامعة الأردنية

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: Anasomo70@gmail.com

https://doi.org/10.33976/IUGJHR.29.3/2021/17

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على شخصية الشريف الحسين بن علي وصفاته وسماته القيادية من خلال رحلة الأديب الزركلي صاحب كتاب "ما رأيت وما سمعت"، التي بدأها من دمشق واختتمها في مكة المكرمة، الذي قدم وصفاً تفصيلياً ونادراً عن الشريف الحسين بن علي وصفاته الشخصية وطبيعة حياته، وعن كثير من الأحداث في مكة المكرمة. كما اشتملت الدراسة على مقاربة ما بين المعلومات التي أوردها الزركلي في رحلته والمعلومات التي وردت في المصادر المعاصرة.

كلمات مفتاحية: الشريف الحسين بن علي، ما رأيت وما سمعت، الزركلي، مكة المكرمة، الحجاز.

Al-Sharif Hussein Bin Ali In Al-Zarkali' Journey, Ma Ra'ayt Wa Ma Samat' , To Mecca Al-Makaramah In 1920

Abstract:

This Study Aimed To Highlight On Personality, Leadership To Al-Sharif Al-Hussein Bin Ali Through Literary Al-Zarkali Journey Who Write Ma Ra'ayt Wa Ma Samat' Book Which Started From Damascus And Terminate In Mecca Al-Makaramah, He Mentioned An Accurate, Rare Description For Al-Sharif Al- Hussein Bin Ali Since His Personality And Casual Life And A Lot Of Events Which Have Happened In Mecca. In Addition, The Study Includes Of Approach Between The Information Which Alzarkli Documented In His Journey And The Information Which Mentioned In Modern Sources.

Keywords: Al-sharif Al-Hussein Bin Ali, Ma ra'ayt wa ma samat', Al-zarkli, mecca Al-makaramah ,Al-Hijaz.

مقدمة:

تعتبر كتب الرحلات أحد المصادر المهمة في الدراسات التاريخية، وبخاصة التاريخ الحديث، لما تحتويه من معلومات مهمة عن النواحي السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية والادارية، والجغرافية، وفي هذه الدراسة سنحاول إلقاء الضوء على نموذج مهم من هذه الرحلات وهي رحلة الزركلي" ما رأيت وما سمعت"؛ التي تعد من أهم الرحلات في تراثنا العربي الحديث بعيد الحرب العالمية الأولى؛ إذ تشكل وثيقة تاريخية تقدم للباحث ملامحاً للحياة العامة بوصفها نقلاً مباشراً، رصد فيه صاحب الرحلة المرئي والمسموع، حيث لم تنل الرحلة حظا وافرا من قبل الباحثين. وتتميز هذه الرحلة باعتدال وجهة نظر المؤلف في سرد الأحداث والحقائق.

إن الهدف الرئيس من هذه الدراسة يكمن في إبراز شخصية الشريف الحسين بن علي وصفاته وسماته القيادية من خلال رحلة الزركلي:" ما رأيت وما سمعت"، التي بدأها من دمشق مرورا بالقاهرة وصولا إلى مكة المكرمة؛ إذ تعد رحلة الزركلي من أهم الرحلات في تراثنا العربي الحديث بعيد الحرب العالمية الأولى؛ إذ تشكل وثيقة تاريخية تقدم للباحث لبعض الملامح للحياة العامة في الحجاز، بوصفها نقلاً مباشراً يرصد فيه صاحب الرحلة المرئي والمسموع؛ إذ لم تنل الرحلة اهتماما من كبيرا من قبل الباحثين.

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على منهج البحث التاريخي الوصفي التحليلي، القائم على استنباط المعلومات من مصادرها الرئيسة وتحليلها ومناقشتها. وتم الاستناد بدرجة كبيرة إلى ما تضمنه كتاب الزركلي "ما رأيت وما سمعت"، ورغم ذلك فإننا لم نغفل المصادر المعاصرة والمراجع الأخرى التي تناولت شخصية الشريف الحسين في هذه المرحلة المهمة من تاريخ الحجاز؛ إذ تم الاستفادة مما أوردته هذه المصادر من معلومات ومقارنتها بما أورده الزركلي في رحلته.

وتشتمل هذه الدراسة على محورين رئيسين، جاء المحور الأول للتعريف بصاحب الرحلة خيرالدين الزركلي ورحلته إلى مكة المكرمة، والكشف عن دوافع الزركلي القيام بهذه الرحلة، أما المحور الثاني فقد خصص للحديث عن شخصية الشريف الحسين وصفاته القيادية، والحديث عن أبنائه، من خلال ما جاء في هذه الرحلة.

أولاً: الزركلي ورحلته إلى مكة المكرمة في عام 1920م:

سنفرد في البداية توطئة عن الزركلي وحياته؛ فهو خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ولد عام 1893م في بيروت، حيث كان أبوه يقيم تجارته هناك، تلقى تعليمه في مدارس دمشق الأهلية، وتتلمذ على يد علماء الأدب فيها، وعمل بعدها مدرساً في المدرسة الهاشمية بدمشق وهي المدرسة الكاملية التي أنشاها محمد كامل القصاب[1]، واهتم الزركلي بكتب الأدب متأثراً بنزعته الأصيلة إلى حياة الفكر، وهذا ما جعل منه أديباً، وشاعراً، ومؤرخاً، ورحالة[2].

عمل الزركلي في الصحافة؛ فأصدر "مجلة الأصمعي[3]" في دمشق، ثم "جريدة لسان العرب[4]" ثم شارك بإصدار "جريدة المفيد[5]"، وعلى أثر معركة ميسلون التي حصلت بين قوات الحكومة العربية في سوريا وبين الجيش الفرنسي في تموز عام

([1]) محمد كامل القصاب: محمد كامل بن أحمد بن عبد القادر القصاب، من زعماء الحركة الاستقلالية أيام الاحتلال التركي و الفرنسي في سوريا، أصوله من حمص، أسس المدرسة الكاملية في دمشق، توفي عام 1954م. انظر: الزركلي، الأعلام ، ج7، ص 13؛ الغوري، فلسطين عبر ستين عاماً، ص 251.

([2]) الزركلي، الأعلام، ج8، ص 267؛ العلاونة، خير الدين الزركلي، ص 9، 15؛ البعلبكي، معجم أعلام المورد، ص 220.

([3]) مجلة الأصمعي: أصدرها الزركلي في دمشق عام 1912م، وصادرتها الحكومة العثمانية لنشرها صورة المأمون، وتحت الصورة جملة" الخليفة العربي العباسي". انظر: العلاونة، خير الدين الزركلي، ص 15.

([4]) لسان العرب: أصدرها الزركلي في دمشق عام 1918م، واستمرت ثلاثة أشهر، وتنازل عنها لشريكه فيها إبراهيم حلمي العمر. انظر: العلاونة، خير الدين الزركلي، ص 15.

([5]) جريدة المفيد: أصدرها الزركلي في دمشق مع يوسف حيدر، واستمرت حتى دخول الفرنسيين سوريا عام 1920م. انظر: العلاونة، خير الدين الزركلي، ص 15.

1920، غادر الزركلي إلى فلسطين، ثم مصر، ثم الحجاز، واتصف الزركلي بعدائه للفرنسيين بشعره وقلمه، ونعتهم بالغدر والخيانة، ودعا إلى مقاومتهم، فحكم عليه بالإعدام غيابياً عام 1920م بتهمة التواطؤ مع العدو بقصد تسهيل مشاريعه[6].

غادر الزركلي دمشق متوجها إلى حيفا ثم القاهرة فالحجاز؛ إذ وصل مكة المكرمة بناء على دعوة من الشريف الحسين في عام 1920م، وأقام في ضيافته ثلاثة أشهر ونيف أملاً منه إنقاذ بلاد الشام من الانتدابين الفرنسي والبريطاني[7].

وحصل الزركلي على الجنسية الحجازية في عام 1921م، وانتدبه الشريف الحسين بن علي لمساعدة ابنه "الأمير عبدالله" بإنشاء الحكومة الأولى "مجلس المشاورين" في شرقي الأردن، حيث كلف بمنصب مفتش عام في دائرة المعارف ثم رئيساً لديوان الحكومة بين عامي (1921–1923م) [8].

ألغت الحكومة الفرنسية قرار الإعدام على خير الدين الزركلي فرجع إلى سورية، ومن ثم غادرها إلى مصر، وهناك أنشا المطبعة العربية؛ حيث طبع فيها مجموعة من كتبه، وعمل الزركلي مستشاراً للمفوضية العربية السعودية في مصر، ثم وزيراً مفوضاً لدى جامعة الدول العربية عام 1951، ثم عُين سفيراً ومندوباً في المغرب عام 1957م، كما انتخب في المجمع العلمي العراقي عام 1960م[9]. وتوفي في القاهرة عام 1976[10].

ترك الزركلي العديد من المؤلفات المهمة وذات قيمة علمية كبيرة، ومنها:

1. **كتاب الأعلام:** وهو عبارة قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الصادر عن دار العلم للملايين، بيروت، عام 1927م، وعام 1957م، وعام 1969م، وطبعة 2015م أحدثها، ويقع في ثمانية مجلدات[11].
2. **ديوان الزركلي:** الأعمال الشعرية الكاملة الصادر عن مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م[12].
3. **شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز**[13]: جمع الزركلي في هذا الكتاب أخبار الملك عبد العزيز، ووصف أحواله العامة والخاصة، وخلاصة تاريخ قيام الدولة السعودية. صدر هذا الكتاب عن دار العلم للملايين، بيروت، 1997 في أربعة مجلدات.
4. **عامان في عمان**[14]: وهو عبارة عن مذكرات سجل فيها الزركلي إقامته في عاصمة شرقي الأردن ما بين عامي (1921–1923). صدر هذا الكتاب عن دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2009.
5. **ما رأيت وما سمعت، من دمشق إلى مكة**[15]: والكتاب عبارة عن وصف لرحلة الزركلي من دمشق في 1920/7/26 بعد معركة ميسلون واحتلال دمشق من قبل الفرنسيين، والحكم عليه بالإعدام وهروبه من دمشق

([6]) الزركلي، الأعلام، ج8، ص 267؛العلاونة، خير الدين الزركلي، ص15، 16، 19؛ البعلبكي، معجم أعلام المورد، ص 220.

([7]) العلاونة، خير الدين الزركلي، ص 16.

([8]) الزركلي، الأعلام، ج8، ص 267؛ العلاونة، خير الدين الزركلي، ص 25؛ البعلبكي، معجم أعلام المورد، ص 220.

([9]) الزركلي، الأعلام، ج8، ص 267؛ العلاونة، خير الدين الزركلي، ص، 16، 19؛ البعلبكي، معجم أعلام المورد، ص 220؛ فلسطين في عشرينيات القرن العشرين، ص 272.

([10]) الزركلي، الأعلام، ج8، ص 267؛ العلاونة، خير الدين الزركلي، ص 25؛ البعلبكي، معجم أعلام المورد، ص 220؛ فلسطين في عشرينيات القرن العشرين، ص 272.

([11]) الزركلي، الأعلام ، (مقدمة الكتاب).

([12]) الأعمال الشعرية الكاملة للزركلي، (مقدمة الكتاب).

([13]) الزركلي، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز، (مقدمة الكتاب).

([14]) الزركلي، خير الدين، مذكرات عامين في عاصمة شرق الأردن 1921–1923، (مقدمة الكتاب).

([15]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت من دمشق إلى مكة، (مقدمة الكتاب).

إلى حيفا فالقاهرة فمكة المكرمة والطائف، والعودة إلى القاهرة في 1921/1/26. وتُعد هذه الرحلة وثيقة تاريخية تقدم ملامحاً للحياة العامة بوصفها نقلاً مباشراً يرصد المرئي والمسموع عبر مسار الرحلة. وقد أشار الزركلي أنه تم طباعة هذا الكتاب في عام 1923م.

أسباب القيام بالرحلة ومسارها:

جاءت رحلة الزركلي هرباً من حكم الإعدام الذي أصدره الفرنسيون بحقه، حيث انتقل إلى حيفا في 1920/7/26م، فأقام فيها أسبوعين، ثم قصد القاهرة بالقطار، فوصلها في 10 /1920/8م، وعن مشاهداته في طريقه من حيفا إلى القاهرة يقول:" وليس في خبر الرحلة من حيفا إلى القاهرة ما يجدر بي أن آتي عليه"[16]. وينطبق هذا الكلام على انطباعاته عن القاهرة أيضاً، حيث يقول:" ليس في القاهرة ما يستظرفه القارئ فأفرد له جانباً من هذا الكتاب وله أن يطلع إن شاء على ألوف المصنفات في لغة العرب وغيرها مما أشبع القول فيه بحثاً وتحقيقاً"[17].

أما فيما يتعلق برحلته من دمشق إلى مكة المكرمة التي دونها في كتابه "ما رأيت وما سمعت" وما ذكره من أحداث بأسلوب وطريقة جعله يتحرى الدقة في الوصف والتعبير معاً؛ فإننا سنخصص الحديث عن الرحلة وأهميتها؛ لذلك سيتم تسليط الضوء على رحلته من القاهرة إلى مكة المكرمة؛ إذ ساهمت هذه الرحلة في تشكيل العلاقة ما بين الزركلي والشريف الحسين من خلال توجيهات أصدرها الشريف لاستقبال الزركلي وتسهيل انتقاله إلى مكة المكرمة.

وبعد وصول الزركلي للقاهرة قام بكتابة خطاب للشريف الحسين يبلغه وصوله مصر، وآملاً منه إنقاذ سورية من الاحتلال الفرنسي، وعليه تم إرسال دعوة من الشريف الحسين لضيافته في الحجاز ما جعله يقرر استثمار الفرصة لمشاهدة الاماكن المقدسة وزيارتها[18]. فيقول الزركلي:" فأجاني إنسان يحمل ورقة، كتب اسمي بها يسأل عني، فكدت أنكر نفسي ثم رأيت أن ألبيه، فأجبته، فبادر إلى حقيبتي، فانتزعها من القطار انتزاعاً، وأسرع قائلاً اتبعني يا سيدي، فبصرت بسيارة ينتظرني فيها أحد تجار السويس، فركبتها وانطلقت بنا، ثم أخبرني التاجر أن معتمد الملك، كلمه بالهاتف وأننا بركوبنا السيارة سندرك الباخرة (المنصورة) قبل مسيرها، وكان الأمر كذلك"[19].

ركب الزركلي الباخرة (المنصورة) وأخذ يصف حال البواخر العابرة للبحر الأحمر؛ إذ تعد هذه المرة الأولى التي يركب بها البحر، ويراقب البواخر، ووصف حاله عبر هذه البحرية الأولى وملامح الخوف، والدهشة، والعزلة التي استحوذت عليه[20]؛ فقضى يومه الأول برفقة محمد حسني العامري[21] أحد المهتمين بشؤون الأدب"[22].

أما في اليوم الثاني فمرّ بالطور[23]، وفي الثالث اجتاز ينبع[24] في طريقه حتى بلغها، وقام باستقباله قسطنطين يني[25] أحد أدباء سوريا والمسؤول عن إدارة دار ضيافة الشريف الحسين، إلا أنه غادر جدة[26] على عجل بأمر من الشريف الحسين،

([16]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 33.

([17]) المصدر نفسه، ص 34.

([18]) المصدر نفسه ص 29، 32، 40.

([19]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 42.

([20]) المصدر نفسه، ص 42.

([21]) محمد حسني أفندي العامري (1874–1954م): أديب مصري، ولد في الشرقية بمصر، كان كاتب الجوازات في السويس، ثم رئيس قلم الحج والمحاجر الصحية، ومن مؤلفاته: " نزهة الألباب في تاريخ مصر وشعراء العصر ومراسلة الأحباب. انظر: العامري، نزهة الألباب في تاريخ مصر وشعراء العصر ومراسلة الأحباب، (مقدمة الكتاب)؛ الزركلي، الأعلام، ج6، ص96.

([22]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 43.

([23]) الطور: جبل في سيناء يقال أن النبي موسى تلقى ألواح الأوامر الإلهية عليه. انظر: الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 43.

([24]) ينبع: إحدى مدن المملكة العربية السعودية، تقع على ساحل البحر الأحمر. انظر: الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 43.

الذي اتصل هاتفياً بدار الضيافة لتسهيل انتقاله ومرافقته حتى يصل إليه[27]." فأبلغني أن جلالته يأمر أن أبرح جدة في ذلك المساء متوجهاً إلى مكة، وإنه قد أمره بالمحافظة على راحتي والعناية بي"[28]. "فركبت بصحبتي خادم أو دليل- لا أدري، وعهدت إلى قسطنطين بإرسال ثيابي وأمتعتي إلى مكة مع الجمالة"[29].

وبعد أن وصل الزركلي مكة المكرمة، لم يستطع الطواف بالبيت الحرام؛ بسبب عناء السفر، وأخذ يتأمل مشهد الطائفين، والحمائم[30]. وظل على حاله حتى وجده صديقه يوسف ياسين[31]، قائلاً: " واعتنقنا فكأنني أنسيت كل ما لقيت، وجلس إلى جانبي..... فقال: هلم لنطف حول الكعبة، فنهضت وقد قل ما كنت أشعر به من الألم"[32].

وبعد الطواف والانتهاء من أداء مناسك العمرة، ذهب الزركلي برفقة يوسف ياسين إلى لقاء الشريف الحسين بن علي في قصره، فيقول في هذا الصدد :" قال يوسف وقد انتهينا من الطواف وعدنا إلى الاستراحة والحديث: ألا تزور سيدنا؟ فقلت: وعلى هذه الحال؟ قال: نعم، فقلت: لنفعل. وقمت وليس علي غير لباس الإحرام، فمشينا دقائق معدودات، انتهت بنا إلى (دار الحكم) وهي قصر فخم قديم البناء، دخلناه وصعدنا درجاته، ثم جلسنا في بهوه، وبادر الحاجب، فقصد الشريف الحسين؛ فأنباه بنا، فخرج الإذن بالدخول فدخلنا"[33].

ثانياً: الشريف الحسين بن علي (صفاته وسماته القيادية):

لقد قدم الزركلي شخصية الشريف الحسين بن علي عبر المواطن الواردة في كتابه: "ما رأيت وما سمعت" بصورة تقود القارئ إلى تكوين الصورة الحقيقة له بطريقة المحدث والمصور. وهذا المنهج الوصفي التصويري ظل سائداً طيلة أقسام الكتاب فيقول الزركلي:" وإنما أنا ناقل ما سمعت وما رأيت، نقل المحدث لا المؤرخ، والمصور لا الكاتب، متحرياً الحقيقة كما هي عارية مجردة. ولو استطعت لأخذت بيد القارئ أريه ما وقعت عليه عيناي، وأسمعه ما وعته أذناي. على أن الخبر قد يغني عن الاختبار، وفي الراوية ما قد يغني عن المشاهدة"[34].

مكث الزركلي في ضيافة الشريف الحسين ثلاثة أشهر ونيف، قضى أكثر من ساعتين يومياً مع الشريف الحسين، وجالسه هو وضيوفه، وشاطره الحديث معهم وصغى لما يدور في بلاط القصر؛ فيقول في هذا الصدد:" كان نصيبي أن أرى جلالته أكثر من ساعتين في كل ليلة من نيف وتسعين ليلة، أسمع حديثه مع المستمعين وأكلمه مع المتكلمين، فعرفته في سروره ورضاه، كما

([25]) قسطنطين يني(1885-1947م): هو قسطنطين بن عبدو يني ولد في بيروت وتلقى تعليمه في الكلية الوطنية، كان شاعراً وكاتباً وخطيباً، واشترك في تحرير جريدة المنار، وجريدة حمص، كما أنه التحق بجيش الثورة العربية الكبرى، وكان من المقربين للشريف الحسين بن علي. انظر: آل جندي، شهداء الحرب العالمية الكبرى، ص 168.

([26]) جدة: تقع مدينة جدة غرب مكة المكرمة على بعد 73كم منها، وتقع على الساحل الشرقي من البحر الأحمر. للمزيد انظر: السباعي، تاريخ مكة، ج2، ص 514-515، 635؛ المرسي، الدولة العثمانية والولايات العربية، مج8، ع4، ص85.

([27]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 43-44.

([28]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 42-43.

([29]) المصدر نفسه، ص 44.

([30]) المصدر نفسه، ص 45.

([31]) يوسف ياسين(1892-1962): هو يوسف بن محمد ياسين، ولد ونشأ في اللاذقية بسوريا، مكث عامين في مدرسة محمد رشيد رضا بالقاهرة قبل الحرب العالمية الأولى، ودرس في المدرسة الصلاحية في القدس، وبعد الاحتلال الفرنسي لسوريا قصد مكة المكرمة لاجئاً وعلى أثره التقى بالزركلي، ومن مؤلفاته: الرحلة الملكية، ومذكراته. انظر: الزركلي، الأعلام، ج8، ص 253.

([32]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 45.

([33]) المصدر نفسه، ص 46.

([34]) المصدر نفسه، ص 131.

عرفته في كدره وغضبه، ورأيته في جد الأمر، وقلّ أن رأيته في لعبه"[35]. ويبدو أن هذا ما جعل الزركلي يسهب في حديثه حول شخصية الشريف الحسين وحياته وصفاته وسلوكه القيادية في إدارة شؤون حكمه وتمجيده في مواطن عديدة، وعن أبنائه، كما ورد في الرحلة.

وسيتم الحديث عن ما وصفه الزركلي في رحلته من أحداث ولقاءات مع الشريف الحسين من خلال عدة جوانب، أهمها:

أ- **شخصية الشريف الحسين:** هو الشريف حسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون بن عبدالله يمتد نسبه إلى سبط رسول الله الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد في الأستانة عام 1853، وانتقل برفقة والده إلى مكة المكرمة وهو في الثالثة من عمره، تلقى تربيته وتعليمه في بيت والده مخالفاً بذلك والده عادات الأشراف بإرسال أولادهم إلى البادية، ليتلقوا تربية بدوية خالصة، يكتسبون عاداتهم، ويتطبعون بطباعهم، ويتعلمون الفصاحة، والصبر على المشاق وركوب الخيل؛ فنشأ الشريف الحسين حضرياً مدنياً، مولعاً بتلقي العلم؛ فحفظ مبادئ العربية، وتفقه في أصول الدين وفروعه، ومن أشهر شيوخه محمد محمود التركزي الشنقيطي[36] حيث تلقى عنه المعلقات السبع، وتلقى أخبار التاريخ على يد شيخه العالم المؤرخ أحمد بن زيني دحلان[37]، وحفظ القرآن الكريم[38].

لقد أسهمت الظروف السابقة في تشكيل شخصية الشريف الحسين وتنشئته كما يذكر الزركلي؛ إضافة إلى قربه من عمه الشريف عبدالله[39]، الذي أخذ يعامله معاملة الابن، ويوكل إليه المهام، وتسيير بعض الشؤون، وبدأت ملامح الشخصية القيادية تتشكل حينها، فسافر في عهد عمه عبدالله إلى نجد، والحجاز، وطاف بين القبائل، وتعرف عليهم وارتبط بصلة وثيقة بهم، ثم أصبح ذلك صلة الوصل بين إمارة مكة المكرمة والقبائل الحجازية. تزوج من ابنة عمه عبدية هانم وانجب منها علي وعبدالله وفيصل، وأما زيد فأمه تركية تزوجها بعد وفاة عبدية هانم[40].

حرص الزركلي على تقديم ملامح شخصية الشريف الحسين من خلال الثقافة الدينية للحسين ومدى تمسكه بكل ما ورد في القرآن الكريم، والسيرة النبوية، وكتب التفسير؛ فيقول الزركلي في هذا الصدد:" يدور على لسانه كثير من آيات القران الكريم فربما طلب تفسير آية فينهض أحدنا إلى بعض كتب التفسير مما هو في خزانة غرفته فيراجعه ويحل الإشكال، كذلك يفعل في السيرة النبوية، وفي خزانته نخبة صالحة من كتب التفسير والحديث والتاريخ والأدب"[41].

ب- **أبناؤه:** تضمنت رحلة الزركلي وصفاً دقيقاً لأبناء الشريف الحسين الأربعة، حيث يقول:" أنجب الملك حسين أربعة بنين، عرفتهم جميعاً، وخالطتهم، وكانت لي مع بعضهم مواقف، وأنا ذاكرهم على ترتيب أسنانهم تبعاً لقاعدتهم في تقدم الأكبر فالذي يليه، لا يراعون في عملهم هذا ما يراه غيرهم من الاعتبارات فقد ترى الصغير ملكاً والأكبر منه أميراً

([35]) المصدر نفسه، ص 131.

([36]) محمد التركزي الشنقيطي (ت 1904م): محمد محمود بن أحمد بن محمد، علامة عصره في اللغة والأدب، ولد في شنقيط (موريتانيا) وانتقل إلى مصر، ورحل إلى مكة المكرمة فاتصل بأميرها الشريف عبدالله فأكرمه وأحبه لعلمه. ومن مؤلفاته: " الحماسة السنية في الرحلة العلمية"، و" عذب المنهل"، وغيرها. انظر: جماز، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، ج6، ص 111.

([37]) أحمد زيني دحلان (1817–1886): فقيه ومؤرخ، ولد في مكة وتولى الإفتاء والتدريس فيها، شهد إبان وجوده بمكة المكرمة ظهور أول مطبعة، فاستفاد منها في طباعة بعض كتبه، ومنها: "الفتوحات الإسلامية"، "والجداول المرضية في تاريخ الدولة الإسلامية"، "وخلاصة الكلام في إمراء البلد الحرام"، وغيرها. انظر: الدمياطي، نفحة الرحمن في بعض مناقب الشيخ أحمد بن السيد زيني دحلان، ص 13؛ الزركلي، الأعلام، ج1، ص 129–130.

([38]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 131–132؛ وانظر: الريحاني، ملوك العرب، ج1، ص 58؛ دحلان، أمراء البلد الحرام، ص 359؛ الزركلي، الأعلام،ج2، ص 249؛ الوردي، قصة الأشراف وابن سعود، ص 57.

([39]) عبدالله باشا (1821–1877): هو عبدالله بن محمد بن عبد المعين بن عون، من أمراء مكة المكرمة ولد فيها، وأقام في الأستانة وحصل على رتبة الوزارة، ثم ولي إمارة مكة بعد وفاة أبيه، وأستمر فيها إلى أن توفي في الطائف. انظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص 132.

([40]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 132–133.

([41]) المصدر نفسه، ص 149.

أو وزيراً، وحينما يتقابلان لا يمنع الصغير تاجه من تقبيل يد الأكبر وإن كان لا يوازيه في شأنه ومكانته"[42]. وهنا سيتم الحديث عن أبناء الشريف الحسين على النحو الآتي:

1) **الأمير علي** (1881–1935):أكبر أنجال الشريف الحسين، وولي عهده في المملكة العربية الهاشمية في الحجاز، اعتمد عليه الشريف الحسين في إدارة الشؤون الداخلية للقبائل في البادية، وقيادة الجيش، وشغل منصب رئيس الوزراء في مكة المكرمة، وأمير المدينة، اتسم بقلة الكلام وحسن الإصغاء، وفي أخلاقه لين وسهولة، وفي نفسه إباء وشرف[43].
2) **الأمير عبدالله (1882–1951م)**:ثاني أنجال الشريف الحسين، فتح الطائف بعيد بدء الثورة العربية الكبرى، وشغل منصب وكالة الخارجية ثم أقيل منها، وقاد جيش الحجاز في وقعة (تربة)[44] في عام 1919م، نجا فيها بعدد قليل من الضباط. وقال عنه الزركلي:" له شيء من الاطلاع على الأدبين العربي والتركي، مولع بالمحاجة والمناظرة، فخوراً بنفسه، مغرم بالشطرنج"[45]؛ ويقول الأمير عبدالله في مذكراته:" أخدنا نتعلم على أيدي معلمين خواص، علم العربية والتركية والعلوم العسكرية"[46].

ويقول هاري جون فيلبي (H J Philby)[47] عن الأمير عبدالله:" لعبنا الشطرنج مع الأمير عبدالله وفزنا عليه ثلاث جولات متتالية"[48].

3) **الأمير فيصل** (1883–1933م): ثالث أنجال الشريف الحسين، شغل منصب نائب جدة في مجلس النواب العثماني قبل الثورة العربية الكبرى، وافتتح سوريا إلى أقصى حلب فتولى إمارتها، وناب عن أبيه في مجلس الأمم في باريس، ونودي به ملكاً على سوريا، وكانت معركة ميسلون آخر أيام حكمه. ويقول الزركلي عنه "وفي الأمير أو الملك فيصل، دهاء وشجاعة، يتردد في بعض الأمور فيشين حزمه، عصبي المزاج، له قوة على الخطابة واعتلاء منابرها، بعيد مطامح النفس كثير السهر والتفكير، للجد استيلاء عليه فلا يكاد يهزل"[49].

([42]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 144.

([43]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 144؛ وللمزيد حول حياته انظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص 281–282؛ الحسني، محمد بن علي، العقود اللؤلؤية في بعض أنساب الأسر الحسنية الهاشمية بالمملكة العربية السعودية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1994م، ص 271.

([44]) تربة: هي واد بالقرب من مكة المكرمة وقيل عنها أنها واد ضخم أسفله في نجد وأعاليه في السراة. وقعت معركة تربة بين جيش الملك عبد العزيز بن سعود (الإخوان)، وبين قوات الشريف الحسين بن علي في عام 1919م، وكان النصر فيها لجيش ابن سعود، وقد ترتب على هذا النصر تغيرات كبيرة في موازين القوى في تلك الحقبة. للمزيد حول ذلك، انظر: وهبة، خمسون عاماً في جزيرة العرب، ص 28؛ العرامي، دور بريطانيا في الصراع السعودي الهاشمي في الحجاز 1908–1925م، مج11، ع7، ص271؛ الحريص، ضم الطائف ومكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز من خلال مراسلاته، مج8، ع2، 2015م، ص897.

([45]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 145؛ وللمزيد حول حياته انظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص82؛ الحسني، العقود اللؤلؤية، ص 271؛الآثار الكاملة للملك المؤسس عبدالله بن الحسين، ص39.

([46]) الآثار الكاملة للملك المؤسس عبدالله بن الحسين، ص 46.

([47]) هاري سانت جون فيلبي (1885–1960م): مستعرب، مستكشف، كاتب، وضابط استخبارات بمكتب المستعمرات البريطاني، كان يعرف باسم " الشيخ عبدالله"، وينتمي إلى أسرة كانت تعيش بجنوب بريطانيا، التحق بكلية ترينتي بجامعة كامبردج، وعمل لدى حكومة الهند البريطانية، وبدأ بتعلم القرآن الكريم، واللغات ومنها العربية، قدم إلى نجد في عام 1917 بتكليف من بريطانيا. للمزيد انظر: فيلبي، بعثة إلى نجد (1917– 1918م)، ص 52.

([48]) فيلبي، أربعون عاماً في البرية، ص 168.

([49]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 145؛ وللمزيد حول حياته، انظر: الزركلي، الأعلام، ج5، ص 165–166؛ قاسمية، الحكومة العربية في دمشق بين 1918–1920م، ص 46؛ بناء الدولة العربية الحديثة تجربة فيصل بن الحسين في سورية والعراق، ج1، ص 41.

4) **الأمير زيد(1898–1970م):** أصغر أنجال الشريف الحسين، قاد أحد جيوش الثورة العربية في مكة المكرمة، ودخل الشام برفقة أخيه فيصل، وكان نائبه حين سافر إلى أوروبا، ترك دمشق ذاهباً إلى حيفا ومن ثم إيطاليا بعد أن دخل الفرنسيون دمشق. ويقول عنه الزركلي:" هو شاب في مقتبل عمره، يصفه من شهده في مواقع القتال بالبطولة، فيه ذكاء وسرعة انتباه غريبان، للصبي في نفسه أثر يضيع بين نشاط الفتوة ورجحان العقل، وفيه ميل للدرس والتعلم، نقاد، يسمي الحق حقاً والباطل باطلاً، يهزل ويجد، في طباعه وأخلاقه نقاء وصفاء"[50].

ويتبين مما سبق أن الزركلي رسم صورة لشخصية الشريف الحسين وأبنائه، مبيناً أهم ما تميزت به كل شخصية من سمات: عقلية ونفسية، عرفها من خلال قربه منهم أثناء إقامته في الحجاز.

ج- صفات الشريف الحسين وسماته القيادية:

اهتم الشريف الحسين بن علي بالرحالة والضيوف الذين قدموا الحجاز عامة ومكة المكرمة خاصة؛ حيث اهتم بخيرالدين الزركلي وسهل رحلته، ومتابعته طيلة مراحل تنقله حتى وصولنه مكة المكرمة، وتقديم سبل الراحة والرعاية له، وقد أكد ذلك الزركلي نفسه، عندما وصف تفاصيل لقائه الأول بالشريف الحسين في قصر الخلافة:" دخلت على جلالة الملك، فنهض قائماً فأقبلت على يده لأقبلها، فبسط يديه قابضاً بهما وجهي فقبلتهما من باطنهما، وكان أول ما كلمني به جلالته قوله: بلادكم يا ابني ! هذه بلادكم يا ابني! فدعوت له، وأمرني بالجلوس فجلست، وهممت بالاعتذار لحضوري بثوب الإحرام، فأدرك ذلك مني وقال: إن لباساً يختاره الله لحجاج بيته هو أفضل اللباس. وأخذ يسألني عن حالي وحال بلادي، وراحتي في طريقي،..... فنظر إلي قائلاً: سترتاح اليوم في غرفتك، ونجتمع في المساء، فقمت إلى يده فقبلتها مودعاً، وهو يقول: مرحباً مرحباً"[51].

وهذا ما أكده الريحاني[52] الذي زار الحجاز في عام 1922م، عندما وصف لقائه بالشريف الحسين في جدة:" وقد اجتمعنا في جدة يوم وصلت إليها، وكانت أولى دهشتي فيها أن محافظ المدينة الذي تفضل فلاقاني على الرصيف بلغ جلالة الملك بالهاتف خبر وصولي، وبعد ثلاث ساعات من حديث الهاتف جاء رسول يقول: سيدنا دخل البلد: ثم سمعنا صوت السيارة في الشارع فسارعنا إلى باب القصر ننتظر قدوم جلالته، وقفت السيارة فخرج منها الملك حسين، صافحته ولا أذكر بأية كلمة حياني، ولكنني لا انسى أنه كان يتلطف فيأخذ بيدي لأسير بجانبه[53]".

وقد بدت صفات الشريف الحسين تتضح في رسم شخصيته الخاصة والقيادية في عهد إمارة عمه الشريف عبدالله باشا، من خلال المهام الموكلة إليه من قبل عمه، فقد عرف بالقوة والصلابة، حتى وهو يمارس هواياته في ركوب الخيل كان يختار أقسى الجياد وأصلبها، وقد عرف الشريف الحسين بشجاعته منذ الصغر؛ فكان في صباه يحب اصطياد النمور والضباع والغزلان،

([50]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 146؛ وللمزيد حول حياته انظر: المسعى النبيل الأمير زيد والحكومة العربية في دمشق (1918–1920)، ص 15؛ الزركلي، الأعلام، ج3، ص 58؛ الخانجي، مذكرات وأوراق جميل شاكر الخانجي، ص129.

([51]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 46.

([52]) أمين فارس أنطون بن يوسف الريحاني (1876–1940م)، أديب، وشاعر، ورحالة، ولد في لبنان عام 1876م، تعلم في مدرسة ابتدائية ورحل إلى أميركا وهو في الحادية عشرة مع والده وعمه، فاشتغلوا بالتجارة، ودخل في كلية الحقوق ولم يستمر، وزار نجد والحجاز واليمن والعراق ومصر وفلسطين والمغرب والأندلس ولندن، ومن مؤلفاته: " الريحانيات"، "تاريخ نجد الحديث"، "فيصل الأول"، "ملوك العرب"، وغيرها. توفي عام 1940م. انظر: أحمد، خليل، موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001م، ج1، ص 471؛ محيي الدين، بلاغة العرب في القرن العشرين، ص 81؛ الزركلي، الأعلام، ج2، ص18–19.

([53]) الريحاني، ملوك العرب، ج1، ص 25–26.

وقنص الكواسر من الطير، فكان يقطع الجبال البعيدة والقفار الخالية ليعود بغنائمه من الوحش والطير[54]. وفي هذا الصدد يقول هاري فيلبي أثناء لقائه بالشريف الحسين:" ورغم عمره، كان الملك يحتفظ بحيوية بدنية كشاب في شرح الشباب"[55].

وعُرف الشريف الحسين بالعندّ والشدّة ويقول الزركلي في هذا المجال:" وقد ظهرت صفاته بارزة منذ ولي إمارة مكة وحط في أم القرى رحاله، فإنه طارد خصومه، وتسلم مقاليد الأمور بسهر دائم ويقظة وتحفظ"[56]. كما ذكر الريحاني في هذا المجال : " أن الحسين في ساعات الغضب مخيف هائل[57]". ويقول الريحاني أيضاً أن أحد سكان مدينة جدة قال له: "عجيب يا أستاذ أمر الناس في هذا البلد، لا تستغرب قولي إن في جدة خوفاً يستحوذ عليهم من مجرد ذكر صاحب الجلالة المنقذ الأكبر (يقصد الشريف الحسين)"[58].

ويبدو أن هذه الصفات العامة والراسمة لشخصيته هي ذاتها في تعامله مع أهل بيته؛ إذ وصفهُ الزركلي في تعامله مع أبنائه، حيث قال أنه:" شديد معهم، متصلب، صعب. قال الأمير عبدالله: لقد ربيت في حجر والدي، وما أعلمه والله قبلني يوماً، لا طفلاً ولا ناشئاً ولا قادما ولا مودعاً"[59].

وهذا الأمر جعل الشريف الحسين يتسم بالثبات على صفاته وطباعه، ومحافظته على خطاه، ومثابرة على عاداته، وقد وصفه الزركلي قائلاً:" عرفنا سيدنا أميراً وملكاً فإذا هو واحد في إمارته وملكه، أمضى ثماني سنين في دار الإمارة وسنيناً في قصر الحكم، لم يتخلف عن الجلوس للناس إلا يومين اثنين منها، لمرض شديد أصابه، وهو لا ينام أكثر من ست ساعات بل تنقص ساعات نومه عن هذه المقدار"[60].

ويظهر لنا حالة القرب التي كان الشريف الحسين حريصاً عليها وهي مجالسة رعاياه، والاستماع لهم في مجلسه الذي كان مشرعاً دائماً لهم، وقد أورد الزركلي حادثة كان شاهد عيان عليها، فيقول:" حضرت يوماً مجلس الملك وعنده بدوي أكمل حديثه وخرج، فأدخل الحاجب بدوياً آخر تقدم من الملك، فأهوى على يده ثم على ركبته تقبيلاً وتقهقر فجلس في منتصف المكان على الأرض رافعاً إحدى ركبتيه وطاوياً الثانية تحته، وفي يمناه خيزرانة يشير بها وهو يخاطب الملك، فقص قصته، وخلاصتها أنه بينما كان يرعى إبله وراء شعب من الشعاب؛ إذ خرج عليه ثلاثة رجال أرادوا سلبه الإبل، فامتنع فأطلقوا عليه النار من بندقياتهم فأجابهم بمثلها. وانتهت الحادثة باستيلائهم على جملين والنجاة بهما. وكان الملك مصغياً إليه كل الإصغاء وهو طوراً يخاطبه بسعادتك، وتارة بسيدنا، ولما انتهى صفق الملك بيديه فجاءه الحاجب فأمره أن يذهب به إلى قائم مقام القصر وأن يبلغه وجوب إرسال من يقص أثر المعتدين على الشاكي ثم يعلمه النتيجة. فانصرف البدوي بعد أن قبل يد الملك وركبته مرتين"[61]. ويدل ذلك على أن الشريف الحسين كان بمثابة قاضياً.

وقد أكدت جريدة القبلة ما أورده الزركلي؛ بأن هناك كثيرا من القضايا كانت تحال إلى الشريف الحسين بن علي شخصياً للنظر فيها[62].

([54]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 132-133.
([55]) فيلبي، قلب الجزيرة العربية، ص 341.
([56]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 134.
([57]) الريحاني، ملوك العرب، ج1، ص 51.
([58]) المصدر نفسه، ج1، ص 53.
([59]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 146.
([60]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 146.
([61]) المصدر نفسه، ص 147.
([62]) جريدة القبلة، ع(502)، 15 ذو القعدة 1339هـ/ 21 تموز 1921م، ص 3.

وقد شكلت تلك الصفات وغيرها شخصية الشريف الحسين القيادية في الحكم وإدارة الشؤون والتعامل مع صغائر الأمور وكبائرها، كان دؤوب العمل، "لا يسأم الاشتغال في شؤونه وشؤون بلاده"[63]. فيقول الزركلي: "إن الشريف الحسين هو كل شيء بالحجاز، ومرجع كل أمر،.....لا سلطان ولا رأي ولا حول ولا قوة، بل هو صاحب الرأي والكلمة في السياسة والإدارة، وفي البدو والحضر، وفي الجند والضباط، وفي المحكمة والسجن، وفي المطبعة والجريدة، وفي البلدية والشرطة، وفي البرق والبريد"[64].

ويؤكد محمد رشيد رضا على ما سبق ذكره في رحلته إلى مكة المكرمة في عام 1916م؛ أن الشريف الحسين مهتم في الشؤون العامة والخاصة، حتى أمور المنزل وشؤون الضيوف والوفود ونفقاتهم، ومصالح البدو وصلاتهم، قائلاً:" إن الشريف الحسين ينظر في كل شيء من شؤونه الخاصة، وشؤون البلاد العامة، حتى أمور المنزل وشؤون الضيوف والوفود ونفقاتهم، ومصالح البدو وصلاتهم، وقد أعطاه الله تعالى قوة غريبة فهو يشتغل بالنظر في ذلك كله عامة النهار ولا يشكو ملالاً ولا تعباً"[65].

كما أكد حافظ وهبة[66] أن الحسين هو الحكم الأعلى في القضايا الصغيرة والكبيرة[67]. وهذه الأوصاف للشريف الحسين تتطابق إلى حد كبير مع ما ذكره الزركلي في رحلته " ما رأيت وما سمعت".

ومما يؤكد على إنفراد الشريف حسين بالرأي وتركيز السلطات بيده، ضعف آداء كل من: الحكومة الهاشمية ومجلس الشيوخ في مكة المكرمة، أثناء حكم الشريف حسين للحجاز (1916– 1924)؛ إذ لم يكونا فاعلين في المجال السياسي تحديداً؛ حيث لم يظهر لهما أي دور بارز في إدارة الشؤون الداخلية والخارجية للحجاز، ولم يكن لهما أي دور رقابي، ولم يصدر قانون ودستور خاص، يبينّ صلاحيات هاتين السلطتين، بل اقتصر ما توافر لدينا من تلك الفترة على أسمائهم. والمتتبع لأعداد جريدة القبلة المختلفة يلحظ أن القوانين الرسمية[68]، كانت تصدر في أعدادها، ولكن بعد تصديق الشريف الحسين على هذه القوانين، دون أن نلاحظ وجود سلطة رسمية واضحة تتولى الموافقة على هذه القوانين وإصدارها[69]، وهذا يؤكد على مركزية القرار في مكة المكرمة وارتباطه بشخص الشريف حسين.

وحرص الشريف الحسين على متابعة جريدة "القبلة" بنفسه، وهذا ما أجمع عليه بعض المعاصرين؛ فقد وصف الزركلي جريدة "القبلة" قائلاً: "بأنها لسان حاله (الشريف حسين) والمعبرة عن آرائه وأفكاره، ويضيف أنه كان يكتب مقالات كثيرة، يعرفها قراؤها بأسلوب كتابته الذي لا يتغير ولا يتبدل"[70]. ويقول الريحاني في هذا الصدد:" كان الشريف حسين الكل في الكل حتى في

([63]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 150.

([64]) المصدر نفسه، ص 155.

([65]) رحلات محمد رشيد رضا، ص 203.

([66]) حافظ وهبة (1889–1967م): هو حافظ بن محمد بن رفاعي وهبة، عمل سفيراً، ومن مؤرخي الدولة السعودية، مصري الأصل والمولد والمنشأ، تعلم مدة قصيرة في الأزهر، وعمل في صحافة الحزب الوطني بالقاهرة والآستانة، ورحل إلى الهند ومنها إلى الكويت عام 1915م، وانتقل إلى الرياض عام 1923م، فعينه عبد العزيز بن سعود مستشاراً له ثم سفيراً في بريطانيا، وله كتابان عن المملكة العربية السعودية: "جزيرة العرب في القرن العشرين"، و"خمسون عاماً في جزيرة العرب". توفي عام 1967م. انظر: وهبة، حافظ، خمسون عاماً في جزيرة العرب، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، 2001م، ص 1–21؛ الزركلي، الأعلام، ج2، ص 160؛ كحالة، معجم المؤلفين،ج1، ص 520؛ الخضر، حافظ وهبة، ص 31.

([67]) وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص 145.

([68]) انظر على سبيل المثال: (قانون البرقيات)، القبلة، ع(70)، 24 جمادى الثانية 1335هـ/ 17 نيسان 1917م، ص 2. وانظر (قانون البريد)، القبلة، ع(71)، 27 جمادى الثانية 1335هـ/ 20 نيسان 1917م، ص 2، ع(72)، 2 رجب 1335هـ/ 24 نيسان 1917م، ص 2. وانظر (قانون الشرطة)، القبلة، ع (60)، 17 جمادى الأولى 1335هـ/ 11 آذار 1917م.

([69]) للمزيد حول ذلك، انظر: العموش، أنس، (2020م)، مكة عاصمة مملكة الحجاز(1916–1925م) " دراسة تاريخية في الأحوال العامة، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، الجامعة الأردنية، ص 48–55.

([70]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 155.

تحرير جريدة القبلة"[71]. وقد أكدت ذلك مصادر أخرى معاصرة؛ بأن الشريف الحسين "كان يشرف بنفسه على جريدة القبلة، وأنه كان يحرر بيده بعض مقالاتها"[72].

وقد واصل الشريف الحسين الحرص على تطبيق القرارات واتباع النظام العام والسير به إلى درجة التنكر؛ فكان يجوب الأزقة في مكة المكرمة ليلاً، يحادث أهلها؛ ليبصر ويعرف ما يدور هناك، فيقول الزركلي:" فتراه يتنكر في بعض الليالي ويطوف أزقة مكة وأسواقها، يتسمع ما يتحدث به أهلها ويبصر ما هم صانعون، وتراه لا يبالي بالأبهة، والعظمة والمظاهر، بل يؤثر السكون ويظهر الزهادة ويلبس لباس النساك"[73].

وهذا الدور الرقابي الذي مارسه الشريف الحسين كجزء من سلوكه القيادي في إدارة شؤون الحجاز عامة ومكة المكرمة خاصة، أكده السباعي[74] في مذكراته، فيقول: "ومن طرائف الحسين التي تسجل أنه زار مدرستنا مرة بصورة مفاجئة لا يتخيلها عقل"[75].

وأشار السباعي في موضع آخر :" نمى إلى الحسين أن موظفي البلدية لا يبادرون إلى أعمالهم من الصباح الباكر؛ فأراد أن يمتحن الأمر بنفسه، فركب إليها مبكراً ودار بين غرفها فلم يجد أحداً"[76].

ويتطابق وصف السباعي مع قول الزركلي بأن الشريف الحسين كان يتخفى ويقوم بدور السلطة الرقابية في مكة المكرمة خاصة والحجاز عامة.

ومما يدل على أن الشريف الحسين كان يقوم بدور مهم في الحجاز عامة و مكة المكرمة خاصة؛ أنه استدعى إلى قصره صاحب بيت كان يمارس السهر والغناء في بيته؛ وكان هذا الأمر محرماً بأمر ملكي في مكة المكرمة، حيث أشار السباعي: أن مدير المدرسة الراقية بمكة المكرمة؛ عبد الوهاب خياط[77] دعي لمقابلة الحسين في قصره، فلما مثل بين يديه قال له: لقد نمى إلي أن بعضهم يحيي ليالي غناء في بيت بعض جيرتكم فهل لك أن تصدقني؟ فلم يحاول الشيخ أن يلف أو يدور بل قال: "إنه بيتي... وأنا الذي أحيي فيه بعض ليالي الغناء في نفر من أساتذة المدرسة بشكل بريء كل البراءة لا يشوبه حرام ولا يختلط به مشتبه فيه"[78]. عندها اقتنع الحسين بما قاله عبد الوهاب خياط وسرته نبرة الصدق، وأخذ ينصحه ليقلع عن مثل هذا اللون من السلوك:" يا ابني زيكم أساتذة.. لازم يسهروا في طلب العلم.. في المذاكرة.. في شيء.. أقول في شيء ينفع مو في زي هادا الهلس"[79]. وهذا الموقف يدل على أن الشريف حسين كان له عيون في مكة المكرمة وحاراتها.

([71]) الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ص 311.

([72]) السباعي، تاريخ مكة، ج2، ص 699.

([73]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 151.

([74]) أحمد بن محمد بن أحمد السباعي (1905–1984م): أديب، كاتب، صحفي، ولد بمكة المكرمة عام 1905م، تعلم في المدرسة الراقية بمكة المكرمة في عهد الشريف الحسين بن علي، التحق بالعمل الصحفي في العهد السعودي، محرراً في جريدة صوت الحجاز، فرئيساً لتحريرها ومديراً لمطبعتها، ثم عمل في وزارة المالية وسكرتيراً للإذاعة السعودية، وله العديد من المؤلفات، أبرزها: "الأمثال الشعبية في مدينة الحجاز"، "أوراق مطوية"، "تاريخ مكة"، "سباعيات"، وغيرها. توفي عام 1984م. انظر: اليسوعي، روبرت، أعلام الأدب العربي المعاصر، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ط1، 1996م، ج1، ص 697؛ الجعيدي، أحمد السباعي أديباً، ص 11–26؛ رمضان، تتمة الأعلام للزركلي، ج1، ص 59.

([75]) السباعي، أيامي، ص 138.

([76]) المصدر نفسه، ص 141.

([77]) عبد الوهاب خياط: كان مدير المدرسة الراقية الهاشمية بمكة المكرمة، انظر: السباعي، أيامي، ص137.

([78]) السباعي، أيامي، ص 137.

([79]) المصدر نفسه، ص 137.

تؤكد الأمثلة التي تمّ إيرادها سابقا على تطابق المعلومات التي أوردها الزركلي في رحلته مع مصادر أخرى معاصرة، كما تدل على أن الشريف الحسين كان يمارس دور المراقب لشوارع مكة المكرمة ومؤسساتها، وكان قصره هو المراقب على أي تخاذل أو تقصير أو تجاوز للقانون.

ولم يقتصر دور الشريف الحسين على ذلك؛ فقد أشار محمد رفيع إلى أن الشريف الحسين كان يتابع بعض مرتكبي الجرائم؛ حيث تمت ملاحقة أحد التجار بعد احتكاره لمادة السكر، وعلى أثرها قام الشريف الحسين بمصادرة دكانه وداره[80].

وقد وصف الزركلي سجن قصر الشريف الحسين(القبو):" وفي جانب من ساحة أرض القصر غرفة صغيرة، في وسطها خرق ينزل منه نحو أربعين دركة إلى جوف الأرض، حيث يرى النازل مكاناً مظلماً مخوفاً موحشاً، .... ذلك المكان هو القبو المشهور...." [81]. كما وصف الرحالة الهندي محمود الحسن السجن بقوله: " وهو قبو مملوء بالسلالم التي تؤدي إلى زنزانات صغيرة مظلمة، نهارها كليلها.... "[82]. وذكر الريحاني:" وقد قيل لي أن سجنها أظلم من أعماق البسفور... ومن سجن مكة المكرمة المظلم، ومن وحشة مكة المكرمة عند المغضوب عليهم، وهي وحشة لا يتخللها بصيص من الرحمة أو المعروف"[83].

يبين الوصف السابق، الذي أوردته مصادر عديدة إلى التصور العام للسجون السياسية وأوضاعها، وأحوالها، وطبيعة التعامل مع المعتقلين السياسيين، وأن الشريف الحسين بوصفه رأس الدولة وحاكمها، وانطلاقاً من الفكر المؤسسي الخاص به، إلا إنه تعامل بقوة مع كل من كان يخالف نهجه أو يشكل خطراً على حكمه. ويتضح من خلال أقوال الزركلي التي جاءت في رحلته عن الشريف الحسين، وما أورده بعض المؤرخين المعاصرين أيضاً، أن الحسين كان متفردا بالحكم وإدارة الشأن العام والخاص في مكة المكرمة، ويتجلى ذلك في إحكام سيطرته على السلطات، وإمساك زمام الأمور في قبضته وحيداً. ويبدو أن مرد ذلك يعود إلى نشأة الشريف حسين وشخصيته التي تميل للشدة والصلابة، وخوفه في الوقت نفسه من الآخرين؛ إذ أنه لم يكن يأمن جانبهم.

الخاتمة:

خُلصت الدراسة إلى عدة نتائج من أبرزها:

1) اتبع الزركلي المنهج الوصفي التصويري لتوثيق حوادث رحلته من دمشق إلى مكة المكرمة. وتُعد هذه الرحلة وثيقة تاريخية تقدم ملامحاً للحياة العامة بوصفها نقلاً مباشراً يرصد المرئي والمسموع عبر مسار الرحلة، حيث ذكر الزركلي أن أبرز دوافع رحلته إلى الحجاز هو الهروب من حكم الإعدام الصادر بحقه من قبل الفرنسيين في عام 1920م، وبدعوة من الشريف الحسين بن علي شخصياً.
2) رسم الزركلي صورة واضحة لشخصية الشريف الحسين وأبنائه، مبيناً أهم ما تتميز به كل شخصية من سمات: جسدية، وعقلية، ونفسية، عرفها من خلال قربه منهم، حيث جاءت المعلومات التي أوردها متشابهة مع مصادر أخرى معاصرة، مثل: أمين الريحاني، وأحمد السباعي، ومحمد رشيد رضا، وجريدة القبلة.
3) بدأت سمات السلوك القيادي لدى الشريف الحسين بن علي بالظهور في مرحلة مبكرة من عمره، كما ذكر الزركلي، حيث اتصف الشريف الحسين بالقوة والشدة التي اكتسبها من تربيته في كنف عمه، حيث انعكست على سلوكه كشريف لمكة المكرمة وأثناء حكمه للحجاز.

([80]) رفيع، مكة المكرمة في القرن الرابع عشر الهجري، ص 271.

([81]) الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص 131.

([82])عبد الحميد، سمير، الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1999م، 183-184.

([83]) الريحاني، ملوك العرب، ج1، ص 62.

4) حرص الشريف الحسين على بذل جلّ جهده لتحقيق الاستقرار في مكة المكرمة خاصة والحجاز عامة من خلال إشرافه بنفسه على كل الصعد، وزيارته للمؤسسات، التي كانت شكليه في آدائها، حيث استأثر الحسين بصلاحياتها (التنفيذية والتشريعية) لنفسه.
5) تعد رحلة الزركلي من المصادر التاريخية المهمة للباحثين عن تاريخ الحجاز عامة والشريف الحسين بن علي بصفه خاصة، ويتضح من خلال أقوال الزركلي التي جاءت في رحلته عن الشريف الحسين، وما أورده بعض المؤرخين المعاصرين أيضاً، أن الحسين كان متفردا بالحكم وإدارة الشأن العام والخاص في مكة المكرمة، ويتجلى ذلك في إحكام سيطرته على السلطات، وإمساك زمام الأمور في قبضته وحيداً.
6) لقد أسهب الزركلي في مدح الحسين وإبراز صفاته القيادية، ويبدو أن ذلك يرجع لقربه منه والعلاقة الحميمة التي نشأة بين الطرفين، ولتفاؤل الزركلي أن الشريف وأبناءه سيسعون لإنقاذ بلده سورية من الاحتلال الفرنسي.

قائمة المصادر والمراجع:

الآثار الكاملة للملك المؤسس عبدالله بن الحسين،(2018م)، منشورات وزارة الثقافة، الأردن.
أحمد، خليل،(2001م) موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
الأعمال الشعرية الكاملة للزركلي،(1980م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
آل جندي، أدهم،(1960م)، شهداء الحرب العالمية الكبرى، مطبعة العروبة، دمشق.
البعلبكي، منير،(1992م)، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت.
بناء الدولة العربية الحديثة تجربة فيصل بن الحسين في سورية والعراق،(2018م)، إعداد: هند أبو الشعر، منشورات وزارة الثقافة، الأردن.
جريدة القبلة(مكة المكرمة):(1916–1924م)، دينية سياسية اجتماعية، تصدر مرتين في الأسبوع لخدمة الإسلام والعرب من مكة المكرمة.
الجعيدي، سعيد علي،(1999م)، *أحمد السباعي أديباً*، (رسالة ماجستير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
جماز، محمد علي،(2003م)، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، دار الكتب العلمية، بيروت.
الحريص، مخلد،(2015م)، *ضم الطائف ومكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز من خلال مراسلاته*، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، مج8، ع2.
الحسني، محمد بن علي، (1994م)، العقود اللؤلؤية في بعض أنساب الأسر الحسنية الهاشمية بالمملكة العربية السعودية، مكتبة مدبولي، القاهرة.
الخانجي، نشأت جميل شاكر، (2008م)، مذكرات وأوراق جميل شاكر الخانجي، ثوار صنعوا الاستقلال، دار الشرق للطباعة والنشر، دمشق.
الخضر، نوف، (2011م)، *حافظ وهبة: حياته وأعماله (1889–1967م)*، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية.
دحلان، أحمد بن زيني، (1981م)، ط2، أمراء البلد الحرام منذ أولهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى الشريف الحسين بن علي، الدار المتحدة للنشر والتوزيع، بيروت.
الدمياطي، أبو بكر شطا، (2016م)، ط1، نفحة الرحمن في بعض مناقب الشيخ أحمد بن السيد زيني دحلان.
رحلات محمد رشيد رضا، (1971م)، تحقيق: يوسف أيبش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

رفيع، محمد،(1981م)،ط1، مكة المكرمة في القرن الرابع عشر الهجري رفيع، منشورات نادي مكة الثقافي.
رمضان، محمد خير، (2002م)،ط2، تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، بيروت.
الريحاني، أمين، (1928م)،ط1، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، المطبعة العلمية ليوسف صادر، بيروت.
ـــــ، (1987م)، ط8، ملوك العرب، دار الجيل، بيروت.
الزركلي، خير الدين، (2002م)، ط15، الأعلام ، دار العلم ، بيروت.
ـــــ، (1997م)، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز، دار العلم، بيروت.
ـــــ، (2009م)، ط1، ما رأيت وما سمعت من دمشق إلى مكة، دار السويدي للنشر والتوزيع، بيروت.
ـــــ، (2009م)، مذكرات عامين في عاصمة شرق الأردن 1921–1923، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
السباعي، أحمد، (2016م)، ط2، أيامي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.
ـــــ، (1999م)، تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.
العامري، محمد حسني، (1896م)، نزهة الألباب في تاريخ مصر وشعراء العصر ومراسلة الأحباب، دار الهلال للطباعة، مصر.
عبد الحميد، سمير، الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1999م.
العرامي، أحمد، (2015م)، دور بريطانيا في الصراع السعودي الهاشمي في الحجاز 1908–1925م، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج11، ع7.
العلاونة، أحمد،(2002م)،خير الدين الزركلي المؤرخ الأديب الشاعر، دار القلم، دمشق.
العموش، أنس، (2020م)، *مكة عاصمة مملكة الحجاز(1916–1925م) " دراسة تاريخية في الأحوال العامة*، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، الجامعة الأردنية.
الغوري، إميل، (1972م)، فلسطين عبر ستين عاماً، دار النهار للنشر، بيروت.
فلسطين في عشرينيات القرن العشرين، (2010م)، ط1، درسها وحققها: تيسير خلف، دار كنعان للنشر.
فيلبي، هاري، (2001م)، أربعون عاماً في البرية، مكتبة العبيكان، الرياض.
ـــــ، (1998م)، ط2، بعثة إلى نجد (1917– 1918م)، ترجمة: عبدالله العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض.
ـــــ، (2002م)، قلب الجزيرة العربية، مكتبة العبيكان، الرياض.
قاسمية، خيرية، (2017م)، الحكومة العربية في دمشق بين 1918–1920م، منشورات وزارة الثقافة، الأردن.
كحالة، عمر رضا، (1993م)، ط1، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت.
محيي الدين، رضا، (1920م)، بلاغة العرب في القرن العشرين، المطبعة الرحمانية، القاهرة.
المرسي، الصفصافي أحمد، (1983م)، الدولة العثمانية والولايات العربية، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.
المسعى النبيل الأمير زيد والحكومة العربية في دمشق (1918–1920)، (2016م) جمع وإعداد: سعد أبو دية، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
الوردي، علي، (2013م)،ط3، قصة الأشراف وابن سعود، الوراق للنشر، بغداد.
وهبة، حافظ،(2001م)، ط1، خمسون عاماً في جزيرة العرب، دار الأفاق العربية، القاهرة.
اليسوعي، روبرت، (1996م)، ط1، أعلام الأدب العربي المعاصر، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت.

قائمة المراجع المرومنة:

Ministry of Culture, The complete works of the Founder King Abd Bin Al-Hussein(in Arabic),(2018), the publications of the Ministery of Culture, Jordan.

Khaleel, A. (2001), The Encyclopedia of the creative Arab figures in the twentieth(in Arabic) century. Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publication .

The Complete Poetic Works of Zarakly (in Arabic) , (1980), Al-Resalah Foundation, Beirut .

Al Jundy, Adam, (1960), Martyrs of the Great World War(in Arabic), Al-Oroubah, Damascus .

Al-Ba'labaky, Muneer, (1992), Figures of Al-Mawred Dictionary(in Arabic), Al-Elm Lalmalaeen Publishing House, Beirut .

Building the Modern Arabian Country: Faisal Bin Al-Hussain's Experience in Syria and Iraq(in Arabic), (2018), Prepared by Hind Abu Al-Sha'r, Ministry of Culture Publications, Jordan .

Al-Qiblah Newspaper (Makkah): (1916-1924) (in Arabic), Religious, Political, and Social, Published twice a week for Muslims and Arabs from Makkah .

Al-Ja'aydy, Sa'id Ali, (1999), the Literary Figure Ahmad Al-Siba'ee(in Arabic), (Published Master's Thesis), Um Al-Qura University, Makkah .

Jumaz, Mohammad Ali, (2003), the Dictionary of Litrary Figures from the Jahiliah Era to 2002(in Arabic), Alkutob Alelmiah Publishing House, Beirut .

Al-Hardees, Mikhlid, (2015), Uniting Al-Taif and Makkah during reign of King Abdul-Aziz through his interactions(in Arabic), Arab and Humanities Sciences Journal, Al-Qaseem University, Volume 8, Issue 3.

Al-Hussainy, Mohammad Bin Ali, (1994), The Pearled Chain of Al-Hussainy Hashimate Family's Genealogy at Saudi Arabia(in Arabic), Madbooly Library, Cairo.

Al-Khanji, Nasha't Jameel Shaker, (2008), the Memoirs and Documents of Jameel Shaker Al-Khanji, Revolutionists who brought independence(in Arabic), Al-Sharq Print and Publishing House, Damascus .

Al-Khader, Nouf, (2011), Hafidh and Hiba: Life and Works (1889-1967) (in Arabic), (unpublished Master's dissertation), Al-Qasem University, Saudi Arabia .

Dahlan, Ahmad bin Zeeny, (1981), 2nd edition, The Princes of Albalad Alharam (Makkah) since the Prophet's Era - peace be upon him - until Alshareef Alhussain Bin Ali(in Arabic), Almutahidah Publishing and Distribution House, Beirut .

Al-Dimyatti, Abu Baker Shatta, (2016), 1st edition, A Whiff of the Merciful in some of the Virtues of Sheikh Ahmad Bin Al-Said Zayni Dahlan(in Arabic .(

Rehlat Mohammad Rasheed Redha, (in Arabic) (1971), Editor: Yousif Aybsh, The Arabian Foundation for studies and publication, Beirut .

Rafee', Mohammad, (1981), 1st edition, Holy Makkah during the Fourteenth Hijri Century(in Arabic), Makkah Cultural Club .

Ramadan, Mohammad Khair, (2002), 2nd edition, Al-Zarkaly's Notifications Continued(in Arabic), Ibn Hazm Publishing House, Beirut .

Al-Rehany, Ameen, (1928), 1st edition, Najd's Modern History and Peripherals(in Arabic), Yousif Sadir's Scientific Printer, Beirut .

،(1987)،_____th edition, the Arab Kings(in Arabic), Aljeel Publishing House, Beirut .

Al-Zerkaly, Khair Al-Deen, (2002), 15th edition, Al-A'lam, (in Arabic) Al-Elm Publishing House, Beirut .

,(1997),_____The Arabian Pinansula during King Abdul Aziz's Era(in Arabic), Al-Elm Publishing House, Beirut .

1 ,(2009) ,_____st edition, What I saw and Heard from Damascus to Makkah(in Arabic), Al-Suaidy Publishing House for Publishing and Distribution, Beirut .

,(2009) ,_____Two Years of Memoirs from the Capital of Eastern Jordan 1921-1923(in Arabic), Al-Ahliyya Publishing House for Publishing and Distribution, Amman, Jordan .

Al-Subay'i, Ahmad, (2016), 2nd edition, Ayabi(in Arabic), Al-Intishar Al-Arabi Foundation, Beirut .
,(1999) ,_____Makkah's History: Studies in Politics, Education, Sociology(in Arabic), and Architecture, General Secretariat for the celebration of the 100th anniversary of the founding of the Kingdom of Saudi Arabia .
Al-Ameri, Mohammad Husny, (1896), A walk of the Kernals in the history of Egypt, poets of the times and correspondence with loved ones(in Arabic), Al-Hilal Publishing House for Printing, Egypt .
Abd Al-Hameed, Sameer, The Arabian Peninsula in Urdu Travel Literature(in Arabic), the Islamic Imam Mohammad Bin Sa'ud's University, Riyadh, 1999.
Al-A'ramy, Ahmad, (2015), The United Kingdom's role in the Saudi-Hashimate Conflict in Hijaz 1908-1925(in Arabic), Al-Andalos Journal of Humanities and Social Sciences, Volume 11, Issue 7.
Al-A'lawnah, Ahmad, (2002), The Historian literary figure and poet(in Arabic), Alqalam Publishing House, Damascus .
Al-Omoush, Anas, (2020), Makkah the Capital of Al-Hijaz Kingdom (1916-1925) (in Arabic), A Historical Study of the General Circumstances, (an unpublished PhD dissertation), the University of Jordan .
Al-Ghoori, Emeel, (1972), Palastine within Sixty Years(in Arabic), Alnahar Publishing House, Beirut .
Palastine in the Twenties of the Twentieth Century(in Arabic), (2010), 1st edition, Studied and edited by Tayseer Khalaf, Kan'an's Publishing House .
Philby Harry, (2001), Forty years in the Wilderness(in Arabic), Al-Obaikan Library, Riyadh .
2 ,(1998) ,_____nd edition, An Expedition to Najd (1917-1998), (in Arabic) Translated by Abdallah Al-Athameen, Al-A'baikan, Riyadh.
,(2002) ,_____The heart of the Arabian land(in Arabic), Al-A'baykan Library, Riyadh .
Qasimyah, Khayriah, (2017), The Arabian Government in Damascus between 1918-1920(in Arabic), the publications of the Ministery of Culture, Jordan .
Kahlah, Omar Ridhah, (1993), 1st edition, Authors' Dictionary(in Arabic), Al-Risalah Foundation, Beirut .
Mohiee Aldeen, Ridhah, (1920), Arab Eloquence in the Twentieth Century(in Arabic), Al-Rahmanniah Print, Cairo .
Al-Mursy, Al-Safsafy Ahmad, (1983), The Ottoman Empire and the Arab States(in Arabic), King Abdul Aziz Publishing House, Riyadh.
The Noble Endeavor Prince Zaid and the Arab Government in Damascus (1918-1920) (in Arabic), (2016 AD) Compiled and prepared by: Saad Abu Dayya, Amjad House for Publishing and Distribution, Amman, Jordan.
Al-Wardy, Ali, (2013), 3rd edition, The story of the Noblemen and Bin Sa'ud(in Arabic), Alwarraq Publications, Baghdad .
Wahbah, Hafid, (2001), 1st edition, Fifty Years in the Arab Island(in Arabic), Alafaq Alarabiah Publication House, Ciaro .
Al-Usoa'y, Robert, (1996), 1st edition, The Literary Figures of Modern Arabic Literature(in Arabic), the United Company for Distribution, Beirut .